

الفصل الثانى

أقوال العلماء فى الملائكة

وقال سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى وصف الملائكة ^(١): ثم خلق سبحانه لإسكان سمواته وعمارة الصفيح الأعلى من ملكوته، خلقاً بديعاً من ملائكته، وملاً بهم فروج فجاجها، وحشا بهم فتوق أجوائها، وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم فى حظائر القدس، وسترات الحجب، وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذى تستك منه الأسعاب سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها. وأنشأهم على صور مختلفات، وأقدار متفاوتات، "أولى أجنحة" تسبح جلال عزته، لا ينتحلون ما ظهر فى الخلق من صنعه، ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به، ﴿عِبَادُ مَكْرُومُونَ﴾ ^(٢٦) لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ جعلهم الله فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب الشبهات، فما منهم زائع عن سبيل مرضاته. وأمدهم بفوائد المعونة، وأشعر قلوبهم تواضع إكبات السكينة، وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تاجيده، ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده، لم تثقلهم موصرات الآثام، ولم تترحلهم عقب

(١) نهج البلاغة، ص ١٢٨ - ١٣١.

الليالى والأيام، ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم، ولم تعترك الظنون على معاهد يقينهم، ولا قدحت قاذحة الإحن فيما بينهم، ولا سلبتهم الحيرة ما لاقى من معرفته بضائرتهم، وما سكن من عظمتهم وهيبته جلالتهم فى أثناء صدورهم، ولم تطمع فيهم الوسواس فتقترع برينها على فكرهم. ومنهم من هو فى خلق الغمام الدلح، وفى عظم الجبال الشمخ، وفى فترة الظلام الأيم، ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهى كرايات بيض قد نفذت فى مخارق الهواء، وتحتها ربح هفاة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية، قد استفرغتهم أشغال عبادته، ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته، وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه، ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره. قد ذاقوا حلاوة معرفته، وشربوا بالكأس الروية من محبته، وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيعة خيفته، فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم، ولم ينفد طول الرغبة إليه مادة تضرعهم، ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم، ولم يتوهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم، ولا تركت لهم استكانة الإجلال نصيباً فى تعظيم حسناتهم، ولم تجر الفترات فيهم على طول دءوبهم، ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم، ولم تجف لطول المناجاة أسلالت ألسنتهم، ولا ملكتهم الأشغال فتقطع بهمس الجوار إليه أصواتهم، ولم تختلف فى مقاوم الطاعة مناكبهم، ولم يثنوا إلى راحة التقصى فى أمره رقابهم، ولا تعدو على عزيمة جدتهم بلادة الغفلات، ولا تنصل فى همهم خدائع الشهوات. قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم، ويمموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم، لا يقطعون أمد غاية عبادته، ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته، إلا مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته، لم تنقطع أسباب الشفقة منهم، فنوا فى جدتهم، ولم تأسرهم الأطعام فيؤثروا وشيك السعى على اجتهداهم. لم يستعظموا ما مضى من أعمالهم، ولو استعظموا ذلك

لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم، ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم. ولم يفرقهم سوء التقاطع، ولا تولاهم غل التحاسد، ولا تشعبتهم مصارف الريب، ولا اقتسمتهم أخياف الهمم، فهم أسراء إيمان لم يفكهم من ربقتة زيف ولا عدول ولا ونى ولا فتور، وليس في أطباق السماء موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد أو ساع حافد، يزدادون على طول الطاعة برهم علمًا، وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظمًا.

وقال في خلق الملائكة (١):

خلق الملائكة

ثم فتق ما بين السموات العلا، فملأهن أطوارًا من ملائكته، منهم سجود لا يركعون، وركوع لا يتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يسأمون، لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان. ومنهم أمناء على وحيه، وألسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده، والسدنة لأبواب جنانه. ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة، وأستار القدرة. لا يتوهمون ربهم بالتصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحذونه بالأماكن، ولا يشيرون إليه بالنظائر.

الملائكة الكرام

من ملائكة أسكنتهم مساواتك، ورفعتهم عن أرضك؛ هم أعلم خلقك

(١) نهج البلاغة، المرجع السابق، ص ٤١ - ٤٢.

بك، وأخوفهم لك، وأقربهم منك؛ لم يسكنوا الأصباب، ولم يضمنوا الأرحام، ولم يخلقوا ﴿مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٨)، ولم يتشعبهم ﴿رَبِّبَ الْمُنُونِ﴾ (٣٠)؛ وإنهم على مكانهم منك، ومنزلتهم عندك، واستجماع أهوائهم فيك، وكثرة طاعتهم لك، وقلة غفلتهم عن أمرك، لو عاينوا كنه ما خفى عليهم منك لحقروا أعمالهم، ولزروا على أنفسهم، ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك، ولم يطيعون حق طاعتك.

وقال الإمام الغزالي (١) في معرفة الملائكة:

الملائكة والجن والشياطين جواهر قائمة بأنفسها مختلفة بالحقائق اختلافاً يكون بين الأنواع.

مثال ذلك: القدرة فإنها مخالفة للعلم والعلم مخالف للقدرة وهما مخالفات اللون واللون، والقدرة والعلم أعراض قائمة بغيرها، فكذلك بين الملك والشیطان والجن اختلاف ومع ذلك، فكل واحد جواهر قائم بنفسه وقد وقع الاختلاف بين الجن والملك فلا يرى أحوال اختلاف بين النوعين كالاختلاف بين الفرس والإنسان، أو الاختلاف في الأعراض كالاختلاف بين الإنسان الناقص والكامل، وكذا الاختلاف بين الملك والشیطان، وهو أن يكون النوع واحداً والاختلاف واقعاً في العوارض، كالاختلاف بين الخير والشرير، والاختلاف بين النبي والولي، والظاهر أن اختلافهم بالنوع والعلم عند الله تعالى، وهذه الجواهر المذكورة لا تنقسم. أعني أن محل العلم بالله تعالى واحد لا ينقسم، فإن العلم الواحد لا يحل إلا في محل واحد وحقيقة الإنسان كذلك، فالعلم والجهل بشيء واحد في محل واحد متضادان وفي المحليين غير متضادين، وأما أن هذا الجوهر غير

(١) المضمون به على غير أهله، بيروت، ١٩٨٦.

منقسم وهل هو متحيز أم لا؟ فهذا الكلام عائد إلى معرفة الجزء الذى لا يتجزأ، فإن استحال الجزء الذى لا يتجزأ فهذا الجوهر غير منقسم ولا متحيز، وإن لم يستحل الجزء الذى لا يتجزأ فيمكن أن يكون هذا الجوهر متحيزاً، وقد قال قوم: لا يجوز أن يكون غير منقسم ولا متحيز، فإن الله تعالى غير منقسم ولا متحيز، فما الذى يفصل هذا من ذلك، وهذا غير مبرهن عليه؛ لأنه ربما تبينا في حقيقة الذات، وإن سلب عنهما الانقسام والتحيز والأمور المكانية وتلك سُلُوب والاعتبار بالحقائق؛ لأن ما سلب عن الحقائق كالعرضين المختلفين بالحد والحقيقة الحالين في محل واحد، فإن إيجاب احتياجهم إلى المحل وكونهما في المحل لا يفيد تماثلهما، فكذلك سلب الاحتياج إلى المحل والمكان لا يفيد اشتراك الشئين، ويمكن أن تشاهد هذه الجواهر. أعنى جواهر الملائكة وإن كانت غير محسوسة، وهذه المشاهدة على ضربين: إما على سبيل التمثيل كقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٧. وكما كان النبی علیه الصلاة والسلام يرى جبریل فی صورة دحية الكلبي، القسم الثانى: أن يكون لبعض الملائكة بدن محسوس، كما أن نفوسنا غير محسوسة ولها بدن محسوس هو محل تصرفها وعالمها الخاص بهذا، فكذلك بعض الملائكة، وربما كان هذا البدن المحسوس موقوفاً على إشراق نور النبوة كما أن محسوسات علمنا هذا موقوف عند الإدراك على إشراق نور الشمس، وكذا في الجن والشیاطین.

وقال الإمام الغزالي في (إحياء علوم الدين) في بيان نعمة الله تعالى في خلق الملائكة عليهم السلام: ليس يخفى عليك ما سبق من نعمة الله في خلق الملائكة بإصلاح الأنبياء عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي إليهم، ولا تظن أنهم مقتصرون في أفعالهم على ذلك القدر بل طبقات الملائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات: الملائكة الأرضية والسماوية وحملة

العرش، فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والغذاء الذى ذكرناه دونها يجاوز ذلك من الهداية والإرشاد وغيرهما. واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يغتنى إلا بأن يוכל به سبعة من الملائكة هو أقله إلى عشرة إلى مائة إلى ما وراء ذلك، وبيانه أن معنى الغذاء أن يقوم جزء من الغذاء مقام جزء وقد تلف، وذلك الغذاء يصير دما فى آخر الأمر، ثم يصير لحماً وعظماً، وإذا صار لحماً وعظماً تم اغتذاؤك، والدم واللحم أجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار، فهى لا تتحرك بأنفسها ولا تتغير بأنفسها، ومجرد الطبع لا يكفى فى تردها فى أطوارها، كما أن البر بنفسه لا يصير طحيناً ثم عجينة ثم خبزاً مستديراً مخبوزاً إلا بصناع، فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحماً وعظماً وعروقاً وعصبا إلا بصناع، والصناع فى الباطن هم الملائكة كما أن الصناع فى الظاهر هم أهل البلد، وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغى أن تغفل عن نعمة الباطنة، فأقول: لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم، فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه، ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء فى جواره، ولا بد من ثالث يخلع عليه صورة الدم، ولا بد من رابع يكسوه صورة اللحم والعروق أو العظم، ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء، ولا بد من سادس يلصق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلاً، ولا بد من سابع يرفع المقادير فى الإلصاق فيلحق بالمستدير ما لا يبطل استدارته، وبالعريض ما لا يزيل عرضه وبالمجوف ما لا يبطل تجويفه، ويحفظ على كل واحد قدر حاجته، فإنه لو جمع مثلاً من الغذاء على أنف الصبى ما يجمع على فخذة لكبر أنفه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقته، بل ينبغى أن يسوق إلى الأنفجان مع رقتها وإلى الحديقة مع صفائها وإلى الأخذاذ مع غلظها وإلى العظم مع صلابته ما يليق بكل واحد منها من حيث

القدر والشكل، وإلا بطلت الصورة وربما بعض المواضع وضعف بعض المواضع، بل لو لم يراع هذا الملك العادل في القسمة والتقسيم فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجلين مثلاً لبقيت تلك الرجل كما كانت في حد الصغر وكبر جميع البدن، فكنت ترى شخصاً في ضخامة رجل وله رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا يتنفع بنفسه البتة "فمراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفوضة إلى ملك من الملائكة، ولا تظنن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه، فإن محيل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول؛ فهذه هي الملائكة الأرضية، وقد شغلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد، وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم، وذلك في كل جزء من أجزاءك الذى لا يتجزأ حتى يفتقر بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك، تركنا تفصيل ذلك للإيجاز، والملائكة الأرضية مددهم من الملائكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى، ومدد الملائكة السماوية من حملة العرش، والمنعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت جبار السماوات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام، والأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحب ينجر من جانب إلى جانب^(١) أكثر من أن تحصى فلذلك تركنا الاستشهاد به.

(١) وهذا حديث الأخبار الواردة في الملائكة الموكلين بالسماوات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل سحب ينجر من جانب إلى جانب... ففى الصحيحين من حديث أبى ذر فى قصة الإسراء قال جبريل لحازن السماء الدنيا: افتح، وفيه: أتى السماء الثانية فقال لحازنها: افتح... الحديث، ولهما من حديث أبى هريرة: "إن لله ملائكة سياحين يبلغوننى عن أمتى السلام" وفى =

فإن قلت: فهلا فوضت هذه الأفعال إلى ملك واحد ولم أفتقر إلى سبعة أملاك، والحنطة أيضًا تحتاج إلى من يطحن أولًا ثم إلى من يميز عنه النخالة ويدفع الفضلة ثانيًا، ثم إلى من يصب الماء عليه ثالثًا، ثم إلى من يعجن رابعًا، ثم إلى من يقطعها كرات مدورة خامسًا، ثم إلى من يرقها رغفانا عريضة سادسًا، ثم إلى من يلصقها بالتنور سابعًا، ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستقل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كأعمال الإنس ظاهرًا؟ فاعلم أن خلقه الملائكة تخالف خلقه الإنسان، وما من واحد منهم إلا وهو وحداني الصفة ليس فيه خلط وتركيب البتة، فلا يكون لكل واحد منهم إلا فعل واحد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (٣٦) فلذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مثالهم في تعيين مرتبة كل واحد منهم وفعله مثال الحواس الخمس، فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمهما ولاهما يتنازعاں الشم؛ وليس كاليد والرجل فإنك قد تبطش بأصابع الرجل بطشًا ضعيفًا فتزاحم به اليد، وقد

= الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه نفسه على عبد يا ليل: "فناداني ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين... الحديث" ولهما من حيث أنس "إن الله وكل بالرحم ملكا... الحديث" وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي "ما من نبت ينبت إلا وتحتة ملك موكل حتى يحصد... الحديث" وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو بحر البكراوي واسمه عثمان بن عبد الرحمن وكلاهما ضعيف. وللطبراني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف "إن لله ملائكة ينزلون في كل ليلة يحسون الكلال عن دواب النزاة إلا دابة في عنقها جرس" وللترمذي وحسنه من حديث ابن عباس: قالت اليهود يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد قال "ملك من الملائكة موكل بالسحاب" ولمسلم من حديث أبي هريرة: "بينما رجل بفلاة من الأرض سمع صوتًا من سحابة: اسق حديقة فلان، فتتحي ذلك السحاب فأفرغ ماء في حرة.. الحديث".

تضرب غيرك برأسك فتزاحم اليد التي هي آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطحن والعجن والخبز، فإن هذا نوع من الاعوجاج، والعدول عن العدل سبب اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه، فإنه ليس وحداني الصفة فلم يكن وحداني الفعل، ولذلك نرى الإنسان يطيع الله مرة ويعصيه مرة أخرى لاختلاف دواعيه وصفاته، وذلك غير ممكن في طباع الملائكة، بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم، فلا جرم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون، والراكم منهم راكم أبداً، والساجد منهم ساجد أبداً، والقائم قائم أبداً لا اختلاف في أفعالهم ولا فتور، ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه، وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة أطرافك لك، فإنك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجفان لم يكن للجنف الصحيح تردد واختلاف في طاعتك مرة ومعصيتك أخرى، بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك ينفتح وينطبق متصلًا بإشارتك، فهذا يشبهه من وجه ولكن يخالفه من وجه، إذ الجفن لا علم له بما يصدر منه من الحركة فتحاً وإطباقاً والملائكة أحياء عالمون بما يعملون؛ فإذا هذه نعمة الله عليك في الملائكة الأرضية والسماوية.

وقال ابن حزم في الكلام عن الملائكة عليهم السلام^(١)، وفي سياق حديثه في تعبدكم: قال أبو محمد: - رضى الله عنه - قد نص الله عز وجل على أن الملائكة متعبدون قال تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢). ونص تعالى على أنه أمرهم بالسجود لآدم وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ

(١) الفصل في الملل والنحل، طبعة بيروت، ٣/ ٣٠١ - ٣٠٨.

(٢) سور النحل، آية رقم ٥٠.

مُكْرَمُونَ ﴿٦٨﴾ لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾. إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْ إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْنَعْزِزْهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾. وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْكَرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٧٠﴾. (١)

قال أبو محمد: - رضى الله عنه - نص الله تعالى على أنهم مأمورون منهون متوعدون مكرمون، موعودون بإيصال الكرامة أبدا مصرفون في كتاب الأعمال وقبض الأرواح، وأداء الرسالة، إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما في العالم الأعلى والأدنى، وغير ذلك، مما خالفهم عز وجل به عليهم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿١٣﴾﴾. فأخبر عز وجل أن جبريل عليه السلام مطاع في السماوات والأرض أمين هنالك، فصح أن هنالك أوامر وتدير وأمانات وطاعة، ومراتب ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون بقوله عز وجل: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٦٨﴾ لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾. وبقوله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١١﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿١٢﴾﴾. وبقوله: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾. فنص تعالى على أنهم كلهم لا يسأمون من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لا ساعة ولا وقتا، ولا يستحسرون من ذلك، وهذا

(١) سورة الأنبياء، آية ٢٦ - ٢٩.

(٢) سورة النحل، آية رقم ٤٩ - ٥٠.

(٣) سورة التكوين، آية رقم ٢٩ - ٢١.

(٤) سورة الأنبياء، آية رقم ٢٠.

خبر عن التأييد لا يستحيل أبداً، ووجب أنهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتأذيهم بذلك ونص تعالى على أنهم كلهم معصومون قد حقت لهم ولاية ربهم عز وجل أبد الأبد بلا نهاية فقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٨). فكفر تعالى من عادى أحدا منهم فإن قال قائل: كيف لا يعصون والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ (١).

قلنا: نعم، هم متوعدون على المعاصي كما توعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول له ربه: ﴿لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٦٥). وقد علم عز وجل أنه عليه السلام لا يشرك أبداً، وأن الملائكة لا يقول أحد منهم أبداً، إني إله من دون الله، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ (١). وهو تعالى قد برأهن، وعلم أنه لا يأتي أحد منهن بفاحشة أبداً بقوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ (١). لكن الله تعالى يقرر ما شاء ويشرع ما شاء ويفعل ما يشاء لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون فأخبر عز وجل بحكم هذه الأمور لو كانت، وقد علم أنها لا تكون كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا لَأَتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَالِينَ﴾ (٧). وكما قال: ﴿لَوْ أَرَدْنَا

(١) سورة فصلت، آية رقم ٣٨.

(٢) سورة البقرة، آية رقم ٩٨.

(٣) سورة الأنبياء، آية رقم ٢٩.

(٤) سورة الزمر، آية رقم ٦٥.

(٥) سورة الأحزاب، آية رقم ٣٠.

(٦) سورة النور، آية رقم ٢٦.

أَنْ تَتَّخِذَ لَهُمْ آلًا تَخَذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧﴾ ﴿١﴾. وكما قال: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ ﴿١﴾. وكما قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانُ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمَشُّونَ مَطْمَعِينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١﴾، وكل هذا قد علم الله تعالى أنه لا يكون أبداً وبالله تعالى التوفيق.

فإن قال قائل: إن الملائكة مأمورون لا منهيون، قلنا: هذا باطل؛ لأن كل أمور بشيء فهو منهي عن تركه، وقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾. يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها، وقال عز وجل: ﴿مَا نُزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ ﴿٨﴾ ﴿١﴾.

قال أبو محمد: - رضى الله عنه - وهذا مبطل ظن من ظن أن هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل، وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا أنفا أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبإخباره تعالى أنهم لا يسأمون، ولا يفترون، ولا يستحسرون عن طاعته عز وجل، فوجب بقينا أنه ليس في الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطأ ولا بنسيان وقال عز وجل: ﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنٍّ وَثُلُثَ وَرَبِّعَ﴾ ﴿١﴾. فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن، والرسل معصومون فصح أن

(١) سورة الأنبياء، آية رقم ١٧.

(٢) سورة الزمر، آية رقم ٤.

(٣) سورة الأنعام، آية رقم ٢٨.

(٤) سورة الإسراء، آية رقم ٩٥.

(٥) سورة الحجر، آية رقم ٨.

(٦) سورة فاطر، آية رقم ١.

هاروت وماروت المذكورين في القرآن لا يخلو أمرهما من أحد وجهين لا ثالث لهما: إما أن يكونا جنين من أحياء الجن، كما روينا عن خالد بن أبي عمران^(١) وغيره وموضعهما حينئذ في النحو بدل من الشياطين كأنه قال: ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون قوله: ما أنزل على الملكين نعتا بمعنى لم ينزل على الملكين ببابل ويتم الكلام هنا.

وإما أن يكونا ملكين أنزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم مسخها فصارت كفرا كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتماذى الشياطين على تعليمهما وهى بعد كفر، كأنه قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقًّا يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمْ يَشْرَبْهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾^(٢).

قال أبو محمد: - رضى الله عنه - فقول الملكين إنما نحن فتنة فلا تكفر قول صحيح ونهى عن المنكر، وأما الفتنة، فقد تكون ضلالا، وتكون هدى قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام أنه قال لربه: ﴿أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ

(١) هو: خالد بن أبي عمران التجيبى قاضى أفريقية، قال ابن حبان: واسم أبى عمران: زيد روى عن عبد الله بن عمر مرسلاً وعن عبد الله بن الحارث وغيرهم، وعن يحيى بن سعد الأنصارى وعبيد الله بن أبى جعفر. قال ابن سعد: ثقة، وقال ابن يونس: كان فقيه أهل المغرب ومفتى أهل مصر والمغرب، وكان مستجاب الدعوة توفي عام ١٢٥هـ (تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١١١).

(٢) سورة البقرة، آية رقم ١٠٢.

هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ﴿١﴾. فصديق الله عز وجل في قوله، وصح أن يهدى بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشاء وقال تعالى: ﴿أَتَمَّا أَمُولُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ﴿١﴾.

وليس كل أحد يضل بهاله وولده، فقد كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - أولاد ومال، وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدِيَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَرَدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْنَا﴾ ﴿١﴾. وقال تعالى: ﴿وَالْوِاسْتَقْمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لَيَقْنِفْنَهُمْ فِيهِ﴾ ﴿١﴾. فهذه سقيا الماء التي هي جزاء على الاستقامة قد سماها الله تعالى فتنة، فصح أن من الفتنة خيرا وهدى، ومنها ضلالا وكفرا، والملكان المذكوران كذلك كانا فتنة يهتدى من اتبع أمرهما في ألا يكفر، ويضل من عصاهما في ذلك وقوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ ﴿١﴾. حق لأن أتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام هذه صفتهم يؤمن الزوج فيفرق إيمانه بينه وبين امرأته التي لم تؤمن، وتؤمن هي فيفرق إيمانها بينها وبين زوجها الذي لم يؤمن في الدنيا والآخرة، وفي الولاية، ثم رجع تعالى إلى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ ﴿١﴾. وهذا حق، لأن الشياطين في تعليمهم ما قد نسخه الله عز وجل وأبطله ضارون من أذن الله تعالى

(١) سورة الأعراف، آية رقم ١٥٥.

(٢) سورة الأنفال، آية رقم ٢٨.

(٣) سورة المدثر، آية رقم ٣١.

(٤) سورة الجن، آية رقم ١٧.

(٥) سورة البقرة، آية رقم ١٠٢.

باستضراره به، وهكذا إلى آخر الآية. وما قال عز وجل قط أن هارون وماروت علما سحرًا ولا كفرًا ولا أنهما عصيا، وإنما ذكر ذلك في خرافة موضوعه، لا تصح عن طريق الإسناد أصلا، ولا هي أيضا مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما هي موقوفة على من دونه عليه الصلاة والسلام فسقط التعلق بها وصح ما قلناه والحمد لله رب العالمين.

وهذا التفسير الأخير هو نص الآية دون تكلف تأويل، ولا تقديم ولا تأخير، ولا زيادة في الآية، ولا نقص منها، بل هو ظاهرها والحق المقطوع به عند الله تعالى يقينًا، وبالله تعالى التوفيق.

فإن قيل: كيف تصح هذه الترجمة أو الأخرى...؟ وأنتم تقولون: إن الملائكة لا يمكن أن يراهم إلا نبي، وكذلك الشياطين، ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس...؟ أو كيف تعلم الجن الناس...؟

قلنا- وبالله التوفيق -: أما الملائكة فيعلمون من أرسلوا إليه من الأنبياء خاصة، وينهونهم عن الكفر كما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الكفر في نص القرآن.

وأما الشياطين: فتعلم الناس بالوسوسة في الصدور وتزيين الباطل أو يتمثل في صورة إنسان كما تمثّل يوم بدر في صورة سراقه بن مالك^(١) بن جعشم قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ

(١) هو: سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي، الكناني، أبو سفيان صحابي له شعر، كان ينزل قديدا، له ١٩ حديثًا، وكان في الجاهلية قائفًا، أخرجه أبو سفيان ليقْتَفَى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج مهاجرًا، وأسلم بعد غزوة الطائف سنة ٨هـ، وتوفي عام ٢٤هـ.

وَأَنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتَّانُ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ﴿١﴾ .

وأما الحور العين فسوان مكرمات مخلوقات في الجنة لأولياء الله عز وجل، عاقلات مميزات مطيعات لله تعالى في النعيم خلقن فيه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة.

والجنة إذا دخلها أهلها المخلدون فليست دار معصية، وكذلك أهل الجنة لا يعصون فيها أصلاً، بل هم في نعيم وحمد الله تعالى، وذكر له والتذاذ بأكل وشرب ولباس ووطء لا يختلف في ذلك من أهل الإسلام اثنان وبذلك جاء القرآن والحمد لله رب العالمين.

وأما الولدان المخلدون فهم أولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يخلق خلقاً يملأ الجنة بهم، فنحن نقر بهذا ولا ندرى أمتعدون مطيعون أم مبتدئون في الجنة، والله تعالى يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة. وأما الجن فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بدين الإسلام هذا ما لا خلاف فيه بين أحد من الأمة فكافروهم في النار مع كافرنا، وأما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقال أبو حنيفة: لا ثواب لهم، وقال ابن أبي ليلى وأبو يوسف^(١) وجمهور

(١) سورة الأنفال، آية رقم ٤٨.

(٢) هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، الكوفي، البغدادي أبو يوسف صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه، كان فقيهاً علامة لازم أبا حنيفة فغلب عليه الرأي، وولى القضاء ببغداد أيام المهدي والمهدي والرشيدي ومات في خلافته ببغداد، وهو على القضاء عام ١٨٢ هـ، وهو أول من دعى (قاضي القضاة) وأول من وضع الكتب في أصول الفقه - من كتاب الخراج، وأدب القاضي، والرد على مالك بن أنس. (الأعلام).

الناس إنهم في الجنة وبهذا نقول لقول الله عز وجل: ﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١). ولقوله حاكيا عنهم ومصدقا لمن قال ذلك منهم: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىءَ آمَنَّا بِهِ﴾ (٢). وقوله تعالى حاكيا عنهم: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ (٣) ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ (٤). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (٥) ﴿جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٦) إلى آخر السورة، وهذه صفة نعم الجن والإنس عموما لا يجوز البتة أن يخص منها أحد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلا على الله ما لا يعلم، وهذا حرام، ومن المحال الممتنع أن يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام، وهو لا يريد إلا بعض ما أخبرنا به، ثم لا يبين ذلك لنا، هذا هو ضد البيان الذي ضمنه الله عز وجل لنا فكيف وقد نص عز وجل على أنهم آمنوا فوجب أنهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولا بد.

قال أبو محمد: - رضى الله عنه - وإذا الجن متعبدون فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضلت على الأنبياء بست) (١). فذكر فيها أنه عليه السلام بعث إلى الأحمر والأسود وكان من قبله من الأنبياء إنما يبعث إلى قومه خاصة، وقد نص عليه السلام على أنه بعث إلى الجن وقال عز وجل: ﴿قُلْ أُوْحَىٰ إِلَىٰ أَنَّهُ

(١) سورة آل عمران، آية ١٣٣.

(٢) سورة الجن، آية ١٣.

(٣) سورة الجن، ١.

(٤) سورة البينة، آية ٧-٨.

(٥) رواه البخارى: ٩٠/٦ في الجهاد باب قول النبي: "نصرت بالرعب مسيرة شهر" وفي التعبير باب رؤيا الليل، ورواه مسلم رقم ٥٢٣ في المساجد في فاتحته، والترمذى رقم ١٥٥٣ في السير، باب ما جاء في الغنيمة، والنسائى ٦-٣، ٤ في الجهاد باب وجوب الجهاد.

أَسْمَعَ نَفَرٍ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴿٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ﴿٣﴾ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿٥﴾﴾ (١) وإذا الأمر كما ذكرنا فلم يبعث إلى الجن نبي من الإنس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ليس الجن من قوم أنس وباليقين ندرى أنهم قد أُنذروا فصح أنهم جاءهم أنبياء منهم قال تعالى: ﴿يَمْعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَقُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ (٢).

وقال ابن كثير (١) في باب خلق الملائكة وصفاتهم:

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْـَٔفُونَهُ بِالْقَوْلِ بِهِمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ أَرَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٦٨﴾﴾ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ فَلَنُجْزِيَهُ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ وقال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧٠﴾﴾. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧١﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٧٣﴾﴾ وقال: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٧٤﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْثُونَ ﴿٧٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا

(١) سورة الجن، آية ١٤ - ١٥.

(٢) سورة الأنعام، آية رقم ١٣٠.

(٣) البداية والنهاية، ١/ ٤٠ - ٥٥.

لَهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٨﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ﴿١٩﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمْتُمْ لِحُفُوظِنَا ﴿٢٠﴾ كِرَامًا كَتِيبِينَ ﴿٢١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكُوتِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَتَنَّى وَثُلُثَ وَرُبْعٍ يَرْيَدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ كُتُبًا نَزِيلًا ﴿٢٦﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَذِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢٨﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ هَجْرًا نَحْنُجُورًا ﴿٢٩﴾﴾ وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٣١﴾﴾ والآيات في ذكر الملائكة كثيرة جدًا يصفهم تعالى بالقوة في العبادة وفي الخلق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة الشكل في الصور المتعددة كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٣٢﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الآيات فذكرنا في التفسير ما ذكره غير واحد من العلماء من أن الملائكة تبدو لهم في صورة شباب حسان امتحانًا واختبارًا حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. وكذلك كان جبريل يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وتارة في صورة أعرابي، وتارة في صورته التي خلق عليها. له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب كما

رآه على هذه الصفة مرتين، مرة منهبطا من السماء إلى الأرض، وتارة عند سدرة
 المنتهى عندها جنة المأوى. وهو قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾﴾ أى جبريل كما ذكرناه عن غير واحد
 من الصحابة، منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ
 أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾﴾ أى إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم،
 ثم قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى
 السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾﴾ وقد ذكرنا في أحاديث الإسراء في
 سورة سبحان أن سدرة المنتهى في السماء السابعة، وفي رواية في السادسة أى
 أصلها وفروعها في السابعة فلما غشيها من أمر الله ما غشيها، قيل: غشيها نور
 الرب جل جلاله، وقيل: غشيها فراش من ذهب، وقيل: غشيها ألوان متعددة
 كثيرة غير منحصرة، وقيل: غشيها الملائكة مثل الغربان، وقيل غشيها من نور الله
 تعالى فلا يستطيع أحد أن ينعتها، أى من حسننها وبهائها، ولا منافاة بين هذه
 الأقوال إذ الجميع ممكن حصوله في حال واحدة، وذكرنا أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم، قال: ثم رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقتها كالقلال، وفي رواية:
 كقلال هجر، وإذا ورقها كأذان الفيلة، وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران
 ظاهران، فأما الباطنان في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات، وتقدم الكلام على
 هذا في ذكر خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار. وفيه ثم رفع لى البيت
 المعمور وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما
 عليهم. وذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مستنداً ظهره إلى البيت
 المعمور، وذكرنا وجه المناسبة في هذا أن البيت المعمور هو في السماء السابعة
 بمنزلة الكعبة في الأرض، وقد روى سفيان الثوري وشعبة عن سماك بن حرب
 عن خالد بن عرعة أن ابن الكوا سأل على بن أبى طالب عن البيت المعمور

فقال: هو مسجد في السماء يقال له الضُّراح، وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً، وهكذا روى على بن ربيعة وأبو الطفيل عن علي مثله، وقال الطبراني أنبأنا الحسن بن علوية القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البيت المعمور في السماء يقال له الضُّراح وهو بحيال الكعبة من فوقها حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً)، وهكذا روى على بن ربيعة وأبو الطفيل عن علي مثله، وقال الطبراني أنبأنا الحسن بن علوية القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر أو حذيفة حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (البيت المعمور في السماء يُقال له الضُّراح وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يروونه قط فإن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة). يعنى في الأرض وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدى وغير واحد. وقال قتادة ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه: (هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر عليها؛ يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم). وزعم الضحاك أنه تمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيل إبليس لعنه الله كان يقول سدنته وخدامه منهم، والله أعلم.

وقال آخرون: في كل سماء بيت يعمره ملائكته بالعبادة فيه ويفدون إليه بالنَّوبة والبدل كما يعمر أهل الأرض البيت العتيق بالحج في كل عام، والاعتبار في

كل وقت والطواف والصلاة في كل آن، قال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى في أوائل كتابه المغازى، حدثنا أبو عبيد في حديث مجاهد "أن الحرم حرم مناه (يعنى قدره) من السماوات السبع والأرضين السبع، وأنه رابع أربعة عشر بيتاً في كل سماء بيت وفي كل أرض بيت لو سقطت سقط بعضها على بعض" ثم روى مجاهد قال؛ مناه؛ أى مقابله وهو حرف مقصور. ثم قال: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى سليمان مؤذن الحجاج سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن الحرم محرم فى السماوات السبع مقداره من الأرض - وإن بيت المقدس مقدس فى السماوات السبع مقداره من الأرض كما قال بعض الشعراء.

إن الذى سمك السماء بنى لها بيتاً دعائمه أشد وأطول

واسم البيت الذى فى السماء بيت العزة، واسم الملك الذى هو مقدم الملائكة فيها إسماعيل، فعلى هذا يكون السبعون ألفاً من الملائكة الذين يدخلون فى كل يوم إلى البيت المعمور ثم لا يعودون إليه. آخر ما عليهم (أى لا يحصل لهم نوبة فيه إلى آخر الدهر) يكونون من سكان السماء السابعة وحدها. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَكْمُرُ جُنُودُكَ إِلَّا هُوَ﴾. وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مجاهد عن مورك عن أبى ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظت السماء وحق لها أن تظ ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل) فقال أبو ذر: (والله لوددت أنى شجرة تعضد) ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسرائيل، فقال الترمذى: حسن غريب، ويروى عن أبى ذر موقوفاً، وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا حسين بن عرفة المصرى حدثنا عروة بن عمران الرقى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم

ابن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راکع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لا نشرك بك شيئاً) فدل هذان الحديثان على أنه ما من موضع في السماوات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم في صنوف من العبادة. منهم من هو قائم أبداً، ومنهم من هو راکع أبداً، ومنهم من هو ساجد أبداً ومنهم من هو في صنوف آخر، والله أعلم بها. وهم دائمون في عبادتهم وتسبيحهم وأذكارهم وأعمالهم التي أمرهم الله بها، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَمُنُّ إِلَّا اللَّهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٦) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّابِرُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَبِحُونَ ﴿١٦٨﴾. وقال صلى الله عليه وسلم: (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، قالوا: وكيف يصفون عند ربهم؟ قال يكملون الصف الأول ويتراصون في الصف). وقال: (فضلنا على الناس بثلاث. جعلت لنا الأرض مسجداً، وتربتها لنا طهوراً، وجعلت صفوفها كصفوف الملائكة) وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدي الرب جل جلاله صفوفاً كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ويقفون صفوفاً بين يدي ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٢٨). والمراد بالروح ههنا بنو آدم قاله ابن عباس والحسن وقتادة. وقيل: ضرب من الملائكة يشبهون بنى آدم في الشكل. قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش. وقيل: جبريل. قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك، وقيل: ملك يقال له الروح بقدر جميع المخلوقات. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: يوم يقوم الروح، قال هو ملك من أعظم الملائكة خلقاً، وقال ابن جرير: حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا داود بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال: الروح في السماء الرابعة

هو أعظم السماوات والجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكًا من الملائكة يحى يوم القيامة صفًا وحده، وهذا غريب جدًا، وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم المصري حدثنا ابن وهب بن رزق أبو هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبد الله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن لله ملكًا لو قيل له التقم السماوات والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسبيحه سبحانه حيث كنت) وهذا أيضًا حديث غريب جدًا. وقد يكون موقوفًا، وذكرنا في صفة حملة العرش عن جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) رواه أبو داود وابن أبي حاتم ولفظه خفق الطير سبعمائة عام.

وقد ورد في صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ قالوا كان من شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكن سبعا بمن فيها من الأمم وكانوا قريبًا من أربعمائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات، وما لتلك المدن من الأراضي والمعتملات والعمارات وغير ذلك، رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكتهن ثم قلبها فجعل عاليها سافلها فهذا هو شديد القوى. وقوله ذو مرة أى خلق حسن وبهاء وسناء كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أى جبريل رسول من الله (كريم) أى حسن المنظر (ذى قوة) أى له قوة وبأس شديد (عند ذى العرش مكين) أى له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذى العرش المجيد، (مطاع ثم) أى مطاع فى الملأ الأعلى (أمين) أى ذى أمانة عظيمة، ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام الذى ينزل عليهم

بالوحي. فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة. وقد كان يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينزل عليه في صفات متعددة كما قدمنا. وقد رآه على صفته التي خلقه الله عليها مرتين صلى الله عليه وسلم له ستمائة جناح كما روى البخارى عن طلق ابن غنم عن زائدة الشيبانى قال: سألت زرا عن قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ (١) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) قال: حدثنا عبد الله يعنى ابن مسعود أن محمدا صلى الله عليه وسلم أى جبريل له ستمائة جناح.

وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن راشد عن أبى وائل عن عبد الله قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل (١) من الدر والياقوت ما الله به عليم. وقال أحمد أيضا: حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود في هذه الآية ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٢) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٣)﴾ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتشر من ريشه التهاويل والدر والياقوت)، وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين (١) حدثنى عاصم بن بهدلة سمعت شقيق بن سلمة يقول: سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح) فسألت عاصمًا عن الأجنحة فأبى أن يخبرنى قال: فأخبرنى بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب، وهذه الأسانيد قوية انفرد بها أحمد.

-
- (١) قوله: (التهاوليل) أى الأشياء المختلفة الألوان والزاوية على ما في النهاية رأى جبريل ينتشر من جناحه الدر والتهاوليل.
- (٢) قوله: (الحسين) هو ابن واقد مولى عبد الله بن عامر بن كريز أبو عبد الله المروزي قاضيه.

وقال أحمد: حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني حصين حدثني شقيق سمعت ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتاني جبريل في خضر تعلق به الدر)، إسناده صحيح، وقال ابن جرير: حدثنا ابن بزيع البغدادي قال: حدثنا إسحاق بن منصور، قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله **﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۖ﴾** (١١) قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه حلنا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض، إسناده جيداً قوى، وفي الصحيحين من حديث عامر الشعبي عن مسروق قال: كنت عند عائشة فقلت: أليس الله يقول: **﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِآلِافٍ مِّنَ الْمَلَكِينَ﴾** (١٣). **﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۖ﴾** (١٤). فقلت: أنا أول هذه الأمة. سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال: إنما ذاك جبريل لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين رآه منهبطاً من السماء إلى الأرض ساداً عِظْماً خلقه ما بين السماء والأرض.

وقال البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا عمر بن ذر (ح) وحدثني يحيى بن جعفر حدثنا وكيع عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا قال: فنزلت: **﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَبَكِّنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا﴾** الآية. وروى البخاري عن حديث الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة. وقال البخاري (١): حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز آخر العصر شيئاً فقال له عروة: أما إن جبريل قد نزل فصلى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر: أعلم ما

(١) في كتاب بدء الخلق نقلاً عن (محمود الإمام).

تقول يا عروة قال: سمعت بشير بن أبى مسعود يقول: سمعت أبا مسعود يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: نزل جبريل فأمنى فضليت معه، ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه يحسب بأصابه خمس صلوات.

ومن صفة إسرائيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش وهو الذى ينفخ فى الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة، أولاهن نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث كما سيأتى بيانه فى موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه، والصور قرن ينفخ فيه، كل دارة منه كما بين السماء والأرض، وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث فإذا نفخ تخرج الأرواح تتوهج فيقول الرب جلال جلاله: وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى البدن الذى كانت تعمره فى الدنيا فتدخل على الأجساد فى قبورها فتدب فيها كما يدب السم فى اللدغ فتحى الأجساد وتنشق عنهم الأجداث فيخرجون منها سراعا إلى مقام المحشر كما سيأتى تفصيله فى موضع.

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له، قالوا: كيف نقول يا رسول الله قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا)، رواه أحمد والترمذى من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى، وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سعد الطائى عن عطية العوفى عن أبى سعيد قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور فقال: عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام، وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرى حدثنا محمد بن عمر أن أبى ليلى حدثنى عن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل بناحية إذ انشق أفق السماء فأقبل إسرائيل يدنو من الأرض ويتمايل، فإذا ملك قد مثل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين

نبى عبد أو ملك نبى قال: فأشار جبريل إلى بيده (أن تواضع) فعرفت أنه لى
ناصح فقلت: عبد نبى، فعرج ذلك الملك إلى السماء فقلت: يا جبريل قد كنت
أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلنى عن المسألة فمن هذا يا
جبريل؟ فقال: هذا إسرأفيل عليه السلام خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافا قدميه
لا يرفع طرفه، بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها من نور يكاد يدنو منه إلا
احترق، بين يديه لوح، فإذا أذن الله فى شىء من السماء أو فى الأرض ارتفع ذلك
اللوح فضرب جبهته فينظر، فإن كان من عملى أمرنى به، وإن كان من عمل
ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به، قلت: يا جبريل وعلى أى
شىء أنت؟ قال: على الريح والجنود، قلت وعلى أى شىء ميكائيل قال على
النبات والقطر قلت: وعلى أى شىء أنت قال: على الريح والجنود، قلت: وعلى
أى شىء ملك الموت؟ قال: على قبض الأنفس وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة
وما الذى رأيت منى إلا خوفاً من قيام الساعة، هذا حديث غريب من هذا الوجه،
وفى صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من
الليل يصلى يقول: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرأفيل فاطر السماوات
والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى
لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم)، وفى
حديث الصور أن إسرأفيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ فى الصور، وذكر
محمد ابن الحسن النقاش أن إسرأفيل أول من سجد من الملائكة فجوزى بولاية
اللوح المحفوظ، حكاه أبو القاسم السهيلي فى كتابه (التعريف والإعلام بما أبهم فى
القرآن من الأعلام).

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ﴾
عطفها على الملائكة لشرفهما فجبريل ملك عظيم قد تقدم ذكره، وأما ميكائيل
فموكل بالقطر والنبات وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشرف الملائكة

المقربين. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان حدثنا ابن عباس عن عمارة بن غزنة الأنصاري أنه سمع حميد بن عبيد مولى بنى المعلى يقول: سمعت ثابتاً البناني يحدث عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لجبريل: (ما لى لم أر ميكائيل ضاحكاً قط فقال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار)، فهؤلاء الملائكة المصروح بذكرهم فى القرآن وفى الصحاح هم المذكورون فى الدعاء النبوى: (اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل) فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم، وميكائيل موكل بالقطر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق فى هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الرب جل جلاله، وقد روينا أنه ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى موضعها من الأرض، وإسرافيل موكل بالنفخ فى الصور للقيام من القبور، والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور، ويجازى الكفور، فذاك ذنبه مغفور وسعيه مشكور، وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور، وهو يدعو بالويل والثبور، فجبريل عليه السلام يحصل بما ينزل به الهدى، وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق، وإسرافيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء، وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه فى القرآن ولا فى الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته فى بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم.

وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتُوبُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم فيتناولها ملك الموت بيده فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها فى أكفان تليق بها كما قد بسط عند قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

ثم يصعدون بها فإن كان صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها

وَأَلْقَىٰ بِهَا إِلَى الْأَرْضِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ (١٦) ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿١٧﴾

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنهم قالوا: إن الأرض بين يدي ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله إن كان مؤمناً أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الأرواح، وإن كان كافراً فبالضد من ذلك، عياذا بالله العظيم من ذلك، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن أبي يحيى المقرئ حدثنا عمر وابن شمر قال سمعت جعفر بن حمد قال: سمعت أبي يقول: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن)، فقال ملك الموت: (يا محمد طب نفساً وقر عيناً فإنني بكل مؤمن رفيق، واعلم أن ما في الأرض بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر إلا وأنا أنفحصهم في كل يوم خمس مرات حتى إنني أعرف بصغيرهم وكبيرهم بأنفسهم والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها)، قال جعفر بن محمد: أبي هو الصادق بلغني بتفحصهم عند مواقيت الصلاة فإذا حضر عند الموت فإذا كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في تلك الحال العظيمة، هذا حديث مرسل وفيه نظر وذكرنا في حديث الصور من طريق إسماعيل بن رافع المدني القاص عن محمد بن زياد عن محمد بن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحديث) بطوله، وفيه يأمر الله إسرائيل بنفخة الصعق فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات وأهل الأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا

جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت، فيقول الله وهو أعلم بمن بقى (فمن بقى)؟ فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقي جبريل وميكائيل، فيقول ليمت جبريل وميكائيل فينطق الله العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول: اسكت فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى فيموتان "ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم بمن بقى فمن بقى؟ فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله: لمت حملة عرشى فتموت، ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ثم يأتى ملك الموت فيقول: يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقى: (فمن بقى)؟ فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا فيقول الله: أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فمت فيموت فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كان آخرًا كما كان أولًا، وذكر تمام الحديث بطوله رواه الطبرانى وابن جرير والبيهقى، ورواه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب (الطوالات) ^(١) وعنده زيادة غريبة وهى قوله فيقول الله له: أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فمت موتًا لا تحيا بعده أبدًا.

ومن الملائكة المسمين فى الحديث (منكر ونكير) عليهما السلام. وقد استفاض فى الأحاديث التى ذكرها فى سؤال القبر، وقد أوردناها عند قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ

(١) قال فى كشف (الظنون الطوالات) للحافظ الكبير أبى موسى محمد بن أبى بكر عمر المدينى المتوفى سنة ٥٨١ وهو فى مجلدين.

اللَّهُ أَظْلَمُ مِنْ هَٰذَا ^٧ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٧﴾ وهما فتانا القبر موكلان بسؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه، ويمتحانان البر والفاجر، وهما أزرقان أفرقان لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مفزعة أجارنا الله من عذاب القبر وثبتنا بالقول الثابت آمين، وقال البخارى: حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن وهب حدثني يونس عن ابن شهاب حدثني عروة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: (هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم الأحد، قال: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلنتي، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال: يا محمد فقال: ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً). ورواه مسلم من حديث ابن وهب به.

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام: فمنهم حملة العرش، ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام، وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب ما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ^٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

ولما كانت سجايهم هذه السجية الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة فثبت في الحديث عن الصادق المصدوق أنه قال: "إذا دعا العبد لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين، ولك بمثل".

- ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائبة ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً كما قال: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾، فمنهم الراكع دائماً والقائم دائماً والساجد دائماً، ومنهم الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة إلى البيت المعمور كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم، ومنهم الموكلون بالجنان وإعداد الكرامة لأهلها وتهئية الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

- وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث، ومنهم الموكلون بالنار وهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر وخازنها مالك، وهو مقدم على جميع الخزنة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ ﴿٤٩﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَأَدَاؤُا بِمَلِكِكَ لِنَقِصَ عَلَيْكَ قَالَ إِنَّكُمْ تَكْثُرُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ فَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لَعِينُونَ ﴿٧٤﴾، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُكُ غَلاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا النَّارَ إِلَّا مَلَكُكُ وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنِ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴿١٠٠﴾

- ومنهم الموكلون بحفظ بنى آدم كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُيُنْهِلٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١١).

قال الوالى عن ابن عباس: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ وهى الملائكة وقال عكرمة عن ابن عباس: يحفظونه من أمر الله. قال: الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه، وقال مجاهد: ما من عبد إلا وملاك موكل بحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، وليس شىء يأتية يريده إلا قال: وراءك إلا شىء يأذن الله فيه فيصبيه. وقال أبو أسامة^(١): (ما من آدمى إلا ومعه ملك يزود عنه حتى يسلمه لذى قدر له. وقال أبو مجاز جاء رجل إلى على فقال: إن نفراً من مراد يريدون قتلك فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه إن الأجل جنة حصينة).

- ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى: ﴿إِذْ يَنْفَخُ الْمَلَفِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قِيعِدٌ﴾ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (١٨)، وقال تعالى: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحَفَظِينَ﴾ (١٩) كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (٢٠) يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢١). قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى فى تفسيره: حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسر عن علقمة بن يزيد عن مجاهد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم حائط أو بعيره

(١) وفى نسخة أبو أمامة.

أو يستره أخوه، هذا مرسل من هذا الوجه وقد وصله البزار في مسنده من طريق جعفر بن سليمان، وفيه كلام عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ينهاكم عن التعرى فاستحيوا من الله والذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات الغائط والجنابة والغسل. فإذا اغتسل أحدكم بالعرء فليستتر بثوبه أو بجذم حائط أو بعيره. ومعنى إكرامهم أن يستحي منهم فلا يملى عليهم الأعمال القبيحة التي يكتبونها فإن الله خلقهم كراما في خلقهم وأخلاقهم، ومن كرمهم أنه قد ثبت في الحديث المروى في الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: لا يدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب، وفيه رواية عن عاصم بن ضمرة عن علي (ولا بول) وفي رواية رافع عن أبي سعيد مرفوعا: لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا تمثال، وفي رواية مجاهد عن أبي هريرة مرفوعا: لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو تمثال، وفي رواية ذكوان أبي صالح السماك عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب أو جرس، ورواه زرارة بن أوفى عنه لا تصحب الملائكة رفقة معهم جرس.

وقال البزار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقلوس حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ملائكة الله يعرفون بنى آدم (وأحسبه قال) ويعرفون أعمالهم فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا: أفلح الليلة فلان نجا الليلة فلان، وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه، وقالوا هلك فلان الليلة، ثم قال سلام: أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث، وقد قال البخاري: حدثنا أبو اليمان حدثنا

شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم عبادي فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون، وعن الحسن البصري عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم، فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارًا إلا قال الله: غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة، والمقصود أن كل إنسان له حافظان اثنان واحد من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل، وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله وكاتب اليمين أمير على كاتب الشمال، كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى ﴿إِذْ يَتْلَى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَيْدٌ ۝١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر، حدثنا سفيان حدثنا منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا: وإياك يا رسول الله قال: وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير)، فيحتمل أن هذا القرين من الملائكة غير القرين بحفظ الإنسان، وإنما هو موكل به ليهديه ويرشده بإذن ربه إلى سبيل الخير وطريق الرشاد كما أنه قد وكل به القرين من الشياطين لا يألوه جهداً في الخبال والإضلال. والمعصوم من عصمه الله عز وجل وبالله المستعان.

وقال البخاري: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنا ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن والأغر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد

ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يسمعون الذكر، وهكذا رواه منفردًا به من هذا الوجه، وهو في الصحيحين من وجه آخر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨)، وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، وحدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار، ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث أسباط، وقال الترمذي: حسن صحيح قلت وهو منقطع.

وقال البخارى: حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فضل صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، ويجمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر. يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وقال البخارى: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح، تابعه شعبة وأبو حمزة وأبو داود وأبو معاوية عن الأعمش، وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، وفي صحيح البخارى حدثنا إسماعيل بلفظ: (إذا قال الإمام آمين فإن الملائكة تقول في السواء آمين، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)، وفي صحيح البخارى: حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن سمى عن أبي صالح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا: (اللهم ربنا ولك

الحمد)، فإن من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك، وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد -هو شك- (يعنى الأعمش) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله ملائكة سياحين في الأرض فضلاً عن كتاب الناس، فإذا وجدوا أقواماً يذكرون الله فنادوا هلموا إلى بغيتكم فيحيئون بهم إلى السماء الدنيا فيقول الله: أى شىء تركتم عبادى يصنعون فيقولون: تركناهم يمدونك ويمجدونك ويذكرونك فيقول: وهل رأونى فيقولون: لا فيقول: كيف لو رأونى فيقولون: لو رأوك لكانوا أشد تحميداً وتمجيداً وذكرًا. قال: فيقول: فأى شىء يطلبون فيقولون: يطلبون الجنة فيقول: وهل رأوها فيقولون: لا فيقول: وكيف لو رأوها فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، قال فيقول: من أى شىء يتعوذون، فيقولون: من النار، فيقول: وهل رأوها، فيقولون: لا فيقول: فكيف لو رأوها، فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها هرباً وأشد منها خوفاً، قال: فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم، قال: فيقول: إن فيهم فلاناً الخاطئ لم يردهم إنما جاء حاجة فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم).

وهكذا رواه البخارى عن قتيبة عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به، وقال: رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه ورفع سهيل عن أبيه، وقد رواه أحمد عن عفان عن وهيب عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ينحوه كما ذكره البخارى معلقاً عن سهيل. ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد عن وهب به، وقد رواه الإمام أحمد أيضاً عن غندر عن شعبة عن سليمان (هو الأعمش) عن أبي صالح عن أبي هريرة كما أشار إليه البخارى رحمه الله، وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش وابن نمير، أخبرنا

الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ومن سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه). وكذا رواه مسلم من حديث أبي معاوية، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أبي إسحاق عن الأغر (أبي مسلم) عن أبي هريرة وأبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)، وكذا رواه أيضاً من حديث إسرائيل وسفيان الثوري وشعبة عن أبي إسحاق به نحوه، ورواه مسلم من حديث شعبة والترمذي من حديث الثوري، وقال حسن صحيح، ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم عن عمار بن زريق عن أبي إسحاق بإسناد نحوه، وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، وفي مسند الإمام أحمد والسنن عن أبي الدرداء مرفوعاً: (وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع) أى تتواضع له كما قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ابْتَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٦٥)، وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لله ملائكة سياحين في الأرض ليبلغوني عن أمتي السلام، وهكذا رواه النسائي من حديث سفيان الثوري وسليمان الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به، وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري

عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)، وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع وعبيد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به، والأحاديث في ذكر الملائكة كثيرة جدًا، وقد ذكرنا ما يسره الله تعالى وله الحمد.

وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على أقوال. فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن عمرو ابن سعيد بن العاص أنه حضر مجلسًا لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة فقال عمر: ما أحد أكرم على الله من كريم بنى آدم، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾ (٧) ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد فقال عراك بن مالك: ما أحد أكرم على الله من ملائكته هم خدمة داريه ورسله إلى أنبيائه، واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا أَن تَكُونُوا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونُوا مِنَّا﴾ (١٠) فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي: ما تقول أنت يا أبا حمزة؟ فقال: أكرم الله آدم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسل ومن يزوره من الملائكة، فوافق عمر بن عبد العزيز في الحكم واستدل بغير دليله، وأضعف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مضمونه أنها ليست بخاصة بالبشر، فإن الله قد وصف الملائكة بالإيمان في قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وكذلك الجان ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا مُهْدًى ءَامَنَّا بِهِ﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ قلت: وأحسن ما يستدل به في هذه المسألة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمي عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا وهو أصح، قال: لما خلق الله الجنة قالت الملائكة: يا ربنا اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب، فإنك خلقت الدنيا لبنى آدم، فقال الله: لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن، فكان.